بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (آل عمران/102).

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (النساء/1).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (الأحزاب/70-71).

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

ثم أما بعد فحيَّاكم الله جميعا أيها الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الأعزاء وأيتها الأخوات الطيبات المباركات، وطبتم وطاب ممشاكم وطاب مسعاكم وتبوأتم من الجنة منزلا.

واللهَ العظيم الكريم أسأل الذى جمعنا فى هذه الأوقات الطيبة المباركة على طاعته، أن يجمعنا فى جنته ودار كرامته إنه ولى ذلك والقادر عليه.

أحبتى فى الله:

السنة هي الحصن الحصين. هذا هو عنوان هذا اللقاء مع حضراتكم.

إخوة الإيمان: أخرج الإمام أبو داود في سننه عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحُجْرِ بن حجر، قالا: أتينا العرباض بن سارية، وهو ممن نزل فيهم قول الله: **ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه... (التوبة/92)** فسلمنا، وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين، فقال العرباض: **صلى بنا رسول الله ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.**

إخوة الإسلام: قول عبد الرحمن وحجر في العرباض أنه من الذين نزل فيهم قول الله: **ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ...**

نزلت هذه الآية وما قبلها في فقراء الصحابة الذين لم يجدوا ما يجهزون به أنفسهم ليخرجوا مع النبي في غزوة تبوك. وكانت غزوة تبوك في شهر رجب في السنة التاسعة، وكانت في زمن عسرة من الناس وجدب من البلاد وحين طابت الثمار، فكانوا يحبون البقاء في ديارهم وظلالهم. وكان النبي قلما خرج في غزوة إلا كنّى وورّى بغيرها إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه صرح بها لشدة وطول الشقة. وحث النبي الصحابة على الجهاد، وحض الأغنياء على تجهيز المجاهدين، وجاء البكاءون السبعة منهم العرباض بن سارية، يسألون النبي أن يحملهم وأن يجهزهم لأنهم لا يجدون ما يجهزون به أنفسهم، فاعتذر لهم النبي بأنه لا يجد ما يحملهم عليه، ولما سمعوا اعتذاره انقلبوا إلى أهليهم وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون، فنزل قول الله: **ليس على**

الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون (التوبة/91-92).

وخرج النبي إلى تبوك، ولما عاد قال لمن معه: **إن بالمدينة أقواماً ما قطعتم وادياً ولا سرتم سيراً إلا وهم معكم، قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: نعم حبسهم العذر.**

قال عبد الرحمن وحجر: فلما دخلنا سلمنا، عملاً بقول الله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون (النور/27)**، وقوله تعالى: **فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة (النور/61)**، وقول النبي: **لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على ما تحابون به؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أفشوا السلام بينكم.**

فلما دخلا عليه سلما، ثم قالا: أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين، وفي هذا إشارة إلى استحباب زيارة أهل الفضل ومجالستهم والاستفادة منهم، وقد كان النبي يحث على الزيارة ويرغب فيها، فكان يقول: **من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله، ناداه مناد: أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً.** وعن معاذ بن جبل أن النبي قال: **قال الله تعالى: حقت محبتي للمتحابين فيّ، وحقت محبتي للمتجالسين فيّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ.** فتزاوروا في الله ولله إخوة الإسلام، وأحيوا هذه السنة، فإن التزاور صار اليوم للمصلحة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال عبد الرحمن وحجر: أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين.

وأصل الاقتباس أخذ القبس من النار والمراد هنا الأخذ من العلم والأدب، وفي هذا إشارة إلى قصد العلماء والصالحين لأخذ العلم والأدب منهم، ولقد أوصى الله تعالى بالخروج إلى طلب العلم فقال: **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (التوبة/122)**، وكان النبي يرغب في الخروج في طلب العلم، عن أبي الدرداء أن النبي قال: **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.**

ولكننا نرى في المسلمين في هذه الأيام زهداً في العلم وإعراضاً عن طلبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فلما أخبر عبد الرحمن وحجر العرباض بن سارية عن سبب قدومهم عليه، قالا: أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين، قال العرباض: **صلى بنا رسول الله ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة**، الموعظة هي الأمر والنهي، الأمر بالخير مع ذكر فضائله ترغيباً فيه، والنهي عن الشر مع بيان مضاره تحذيراً منه.

ترغيب وترهيب، وعد ووعيد.

وكانت مواعظه عليه الصلاة والسلام كلها بليغة لأنه أوتي جوامع الكلم، جمع له الكلام جمعاً، فالكلمة الواحدة من النبي تشرح من غيره في خطب ومحاضرات ودروس كثيرة.

ولكن العرباض خص هذه الموعظة بالبلاغة لأنها كانت أقوى من غيرها.

وقوله: **ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب،** المراد أن الصحابة تأثروا بهذه الموعظة تأثراً عظيماً حتى دخل الخوف في قلوبهم وسال الدمع من أعينهم، وهكذا كانوا رضوان الله عليهم كلما سمعوا موعظة من رسول الله، كما قال أنس: **خطبنا رسول الله خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، قال أنس: فغطى أصحاب النبي وجوههم ولهم خنين.**

قال العرباض: **فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع.** فهم ذلك الرجل لما سمع من المبالغة في الإرشاد والوصية، وهذا شأن الإنسان المودع إذا شعر وأدرك أنه على وشك مغادرة الحياة، فإنه يبالغ في النصح والوصية. فلما بالغ النبي في النصح والوصية فهم أحدهم أنها موعظة مودع، **فقال: ماذا تعهد إلينا؟** بماذا توصينا يا رسول الله وأنت لا زلت على قيد الحياة؟ **فقال: أوصيكم بتقوى الله.**

وإنما افتتح النبي وصيته بتقوى الله لأن التقوى هي وصية الله في الأولين والآخرين: **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله (النساء/131)**، والتقوى هي سبيل النجاة، قال تعالى: **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين، وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون (الزمر/60-61).**

التقوى هي أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله.

قال عليه الصلاة والسلام: **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً،** تسلط على الإمارة على كراهية منكم، فعليكم أن تسمعوا وأن تطيعوا

ما أقام فيكم كتاب الله وشريعة الله. **فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.**

إخوة الإيمان: لقد أرسل الله تعالى رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وفرض علينا طاعته واتباعه وقبول ما جاء به، فقال تعالى: **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب (الحشر/7)**، وقال تعالى: **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (النور/63)**، وجعل الله تعالى اتباع الرسول برهان محبته فقال تعالى: **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (آل عمران/31)**، وجعل سبحانه طاعة رسوله عنوان الهداية، فقال تعالى: **وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين (النور/54)**.

فالسنة هي الحصن الحصين، الذي من دخله كان من الآمنين. ولا سبيل للوصول من غير طريق الرسول. لذلك كان النبي يقول شفقة بأمته ورحمة بهم: **كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى.** وقال: **مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها، وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي.**

وقوله: **فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً**، هذا علم من أعلام النبوة، حيث أخبر عن وقوع الأمة في الاختلاف الشديد، وقد وقع كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

ولكنه من رحمته وشفقته بأمته أرشد إلى سبيل النجاة، فقال: **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ،** والنواجذ هي الأضراس بعد الأنياب، مما يدل على شدة التمسك بالسنة، فمن عض على السنة بالنواجذ عض عليها بكل أسنانه.

فالرسول يقول لأمته: لا سبيل للخروج من الاختلاف إلا بالتمسك بما كان عليه النبي وأصحابه، كما قال: **افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي.** عقيدة وعبادة، سلوكاً وأخلاقاً. أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فأين المخرج؟ أين سبيل النجاة؟ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين. وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله. صلى الله عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابته وسلم تسليماً كثيراً.

أحبتي في الله: ولمّا وصى النبي باتباع السنة حذر من سلوك البدعة فقال: **وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.**

فاستجيبوا عباد الله لرسول الله حيث يوصيكم بالسنة ويحذركم من البدع فيقول: **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.**

ولقد أدرك سلفنا الصالح ذلك فكان ابن مسعود يقول: **اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، عليكم بالأمر العتيق.**

وكان أبو الدرداء يقول: **لن تضل، ما أخذت بالأثر.**

وكان ابن عباس يقول: **لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلب.**

وقال الأوزاعي: **عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم.**

وقال الإمام مالك: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة، لأن الله يقول: **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً (المائدة/3)** فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً.

الدعـــــــاء